خطبة صلاة الجمعة 24/ 5/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(كيف أخشع في صلاتي؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: 16]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربعُ سنين"، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن"، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا تلا الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال: «بلى يا ربّ، بلى يا ربّ».

أيها الإخوة:

مر بنا في الخطبتين الماضيتين تعريف الخشوع ومحله، والأمور الأربعة التي تورث الخشوع، وفضل خشوع الصلاة وحكمه، وعنوان خطبة اليوم: **كيف أخشع في صلاتي؟**.

وقبل أن أجيب على هذا السؤال كيف أخشع في صلاتي، أحب أن أنوه على أمر مر في الخطبة الماضية عندما تحدثت الخطبة عن فضل الخشوع وحكمه، وسبق أن العلماء متفقون على فضيلة الخشوع ومنزلته وهم بين قولين في حكمه؛ فمنهم من قال بوجوبه ووجوب إعادة صلاة من لم يخشع بها، ومنهم من قال إنه لا يعيد ولكن لا ثواب له من صلاته إلا ما عقل منها.

وهاهنا سؤال: إذا كان الأمر كذلك وكنا جميعاً نشرد حيناً في الصلاة ونفقد خشوعها حيناً آخر ونسهو بها حينا ثالثاً – نسأل الله المغفرة والمسامحة – فهل جميع صلواتنا الماضيات والقادمات ثوابها قليل؟! وإذا كان الأمر كذلك فلنقتصر على الفرائض إلى أن نتحصل الخشوع.

الجواب: أعددت خطب الخشوع للحث لا للكف، بمعنى أن من لم يخشع في الصلاة فليستمر بها وليكثر منها وليجتهد فيها ليصل إلى الخشوع، إذ العلم بالتعلم والحلم بالتحلم والخشوع بالتخشع، ولا يزال الرجل يصلي ويشرد فيها وهو يسأل الله أن يرزقه الخشوع ويبذل له ما استطاع من جهده إلى أن يكرمه الله به فيصير خاشعاً، ولا سيما أنني قرأت مراراً عن صالحين أنهم كابدوا الصلاة طويلاً ثم إنهم خشعوا بها أخيراً، فمن صدق في الطلب نال مطلوبه.

قال ثابت البناني: كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة.

إذن فأمر الخشوع يحتاج إلى جهد وصبر ومتابعة، والمأمول من حضرة الله أن يرزقني وإياكم ما يزيدنا قرباً إليه وصلة بجنابه.

الآن إلى جواب: كيف أخشع في صلاتي؟!.

تخشع في صلاتك إذا فعلت أموراً ثلاثة، قبلها وأثناءها وبعدها.

– أما الأمور التي قبل الصلاة:

فأن تستحضر في قلبك مكانة الصلاة وفضيلة إقامتها، وأن تقطع عن نفسك شواغلها قبل الصلاة.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: «**الصلاة على أوقاتها**»، قلت: ثم أيّ؟ قال: «**بر الوالدين**»، قلت: ثم أيّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» فانظر كيف قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الصلاة على غيرها! وأخرج ابن ماجه وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة**».

أما قطع الشواغل فإن كنت نعساً فنم ثم صلي، وإن كنت جائعاً فكل ثم صلي، وإن كنت حاقناً فاقض حاجتك ثم صلي، وإن كنت تنتظر مهماً فاقضه ثم صلي، كل ذلك ليتفرغ قلبك وعقلك للوقوف بين يدي الله، فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو**

ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه»، وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا صلاة بحضرة الطعام ولا هو يدافعهُ الأخبثان**».

ولأجل قطع الشواغل صلِّ في مكان هادئ لا ضجيج أصوات ولا صخب ألوان ولا إزعاج رائحة كريهة فيه، فقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أميطي عنا قرامك هذا فإنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي**».

وأخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري قال: «اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال ألا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضاً ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة أو قال في الصلاة».

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من أكل من هذه الشجرة – يعنى الثوم– فلا يقربنا ولا يصلى معنا**».

والحاصل أن الأمور التي تساعدك على الخشوع قبل الصلاة أن تستحضر في قلبك مكانة الصلاة وفضيلة إقامتها، وأن تقطع عن نفسك شواغلها قبل الصلاة.

– أما الأمور التي في الصلاة:

فالتدبر وحضور القلب في كل هيئة وركن من أعمال الصلاة:

فاستقبال القبلة هو صرف الوجه عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله عز وجل، ودعاء الاستفتاح «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين...» هو صرف القلب عن الخلق إلى الخالق.

والقيام في الصلاة وقوف بين يدي ملك السموات والأرض، "وللعبد بين يدى الله عز وجل موقفان موقف بين يديه سبحانه وتعالى في الصلاة وموقف بين يديه يوم القيامة يوم لقائه فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الأخر"، وقراءة القرآن فيها مناجاة لله تعالى وحديث إليه جل جلاله، ففي البخاري ومسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ أحدَكم إذا قام في الصلاة فإنَّما يُناجي ربّه**» وعند الطبراني حديث: «**إذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن**».

وركوعك بين يدي الله تجدد فيه ذكر كبرياء الله سبحانه وتستشعر عز مولاك، وسجودك لله استسلام له وخضوع لأمره وتذلل على أعتابه واذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**أقرب ما يكون**

العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء فيه» [رواه مسلم]، وقوله صلى الله عليه وسلم: **«أعلم أنك لا تسجد لله سجدة إلا رفع الله لك بها درجة وحط عنك خطيئة»**.

أما قراءتك التشهد فأنت فيه تسلم على حضرة الله تعالى بجميع التحيات التي يحيا بها ملوك الأرض، وحسبك بإذنه لك أن تسلم عليه جل جلاله فخراً، ثم تسلم على رسول الله ﷺ فيا طوبى لك، ثم تدعو بالسلام لنفسك ولكل عبد صالح من إنس وجن وملك (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين).

ثم التسليم فيه إلقاء سلام على من هم عن يمينك وشمالك من عباد الله تعالى من إنس وجن وملائكة ليؤذن التسليم بأن هذا الواقف بين يدي الله تعالى خرج من لقائه بربه حاملاً السلام للعالم.

فالتدبر وحضور القلب في كل هيئة وركن من أعمال الصلاة هو من الأمور التي تساعدك على الخشوع في أثناء الصلاة.

– أما الأمور التي بعدها فالدعاء والأذكار:

فلا تتعجل الانصراف بعد الصلاة بل اجلس واشرع في الأذكار، وابدأ بالاستغفار ثلاث مرات، تستغفر ربك عما حصل في صلاته من الخلل والتقصير. وقل: "اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام" واقرأ آية الكرسي والتسبيحات، ثم ادع ربك وتضرع إليه أن يرزقك الخشوع.

واعلموا أيها الإخوة: أن العبد الخاشع إذا انصرف من صلاته وجد خفة من نفسه، ووجد نشاطاً وراحة حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها؛ لأنها قرة عينه ونعيم روحة وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا، فالمحبون يقولون نصلي فنستريح بصلاتنا، كما قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: **«يا بلال أرحنا بالصلاة»**، وقال ﷺ كما في مسند الإمام احمد وعند النسائي: **«وجعلت قرة عيني في الصلاة»**.

أيها الإخوة:

هذه أمور ثلاثة تساعدنا على الخشوع في الصلاة قبلها وفيها وبعدها، والأمر يحتاج إلى توفيق الله ومجاهدة وصبر ليفتح الله عليك في الخشوع، ومن صدق في الطلب نال ما يطلب.

واذكروا أيها الإخوة أن خشوع المسلم وتفاعله مع صلاته لا ينبغي أن ينفصل عن تفاعله مع بقية إسلامه: علماً، وعبادة، ودعوة، فالذي يعيش الإسلام، ويعيش للإسلام، تنفتح له آفاق من الخشوع عند الصلاة والذكر والتلاوة والتفكر، لا تنفتح لغيره، فيجد لعبادته حلاوة.

اللَّهمَّ آتِ نَفوسنا تقْوَاها، وزَكِّها أَنت خَيرُ مَنْ زكَّاهَا، أَنتَ وَلِيُّها ومولاها، اللَّهمَّ إِنا أَعوذ بك قَلبٍ لا يَخشَع، ومن علم لا ينفعُ، ومن نَفسٍ لا تشبع، ومن دعوة لا تُستَجَاب.

والحمد لله رب العالمين